الفصل الثانى

عصر النهضة الاوربية

عصر النهضة وصف يطلق على تلك الحقبة التى نشطت فيها حركة احياء العلم والمعارف والآداب والفنون فى ايطاليا ثم انتقل منها ببطء إلى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا والأراضى المنخفضة وأسبانيا ثم إلى بقية دول أوربا . ويرجع بداية ظهور عصر النهضة فى ايطاليا إلى عدة أسباب من أهمها:

١-موقع ايطاليا الجغرافى فى البحر المتوسط مكنها من أن تؤدى دور الوسيط فى الناحية الاقتصادية بين الشرق الاسلامى من ناحية وباقى دول اوربا من ناحية أخرى مما ساعد الايطاليين على أن يكونوا على اتصال وثيق مع مدن هامة فى الشرق مثل يافا وعكا والقسطنطينية.

٢-ما خلفته الأمبراطورية الرومانية من الكنوز الدفينة من الآداب والعلوم هذا إلى جانب تراث روما السياسى القديم عندما كانت موطنا للامبراطورية الرومانية القديمة.

٣-تواجد مقر البابوية فى ايطاليا والمتمثل فى البابا وكرادلته وسيطرته الدينية والدنيوية، جعل الايطاليين يشعرون بسيطرة بلادهم الدينية على باقى جهات أوربا.

٤-تأثر الايطاليين بالثقافة العربية الإسلامية، واقتباس الكثير منها لاسيما فى مجال العلوم الرياضية والفنون.

٥-الهدوء النسبى الذى تمتعت به ايطاليا وبخاصة فى القرن الخامس عشر الميلادى فبينما كانت الدول الأوربية تخوض حروبا واسعة فيما بينها كانت ايطاليا تنعم فى رخاء وسلام مما مكن أبناءها من التفرغ للبحث والاطلاع والاندفاع بعجلة التطور إلى النمو والازدهار.

٦-بروز العديد من الفنانين العظماء الذين تشربوا هذه الروح الجديدة واستطاعوا أن يجسموها فى إنتاجهم، ويعبروا عنها فى أعمالهم، وقد حاول كل من هؤلاء الفنانين الإسهام فى تمثيل جانب من النهضة وبذلك صار رائدا من روادها.

٧-احتدام التنافس بين المدن الايطالية، جعلها تتسابق فى المجالات الأدبية والفنية، مما شجع القرائح على الابداع فى شتى المجالات وأنجب كوكبة من العلماء والفلاسفة والأدباء والمفكرين.

٨-توفر بعض المطابع فى المدن الإيطالية ساعد على انتشار الفكر والثقافة.

٩-وجود العديد من المخطوطات الإغريقية واللاتينية فى المكتبات الايطالية، وتملك بعض المثقفين الايطاليين لزمام هاتين اللغتين مكنهم من فك طلاسم كثير من المخطوطات والتعرف على محتوياتها.

١٠-اتساع النشاط الفكرى بين الايطاليين، وقلة الحواجز الطبقية بينهم جعل لايطاليا قصب السبق فى تبنى النهضة الأوربية.

وعلى كل حال فقد اتخذت النهضة الأوربية فى بداية أمرها أشكالا متنوعة اختلفت مظاهرها من بلد إلى أخر ففى إيطاليا اتخذت مظهرا فنيا وثقافيا وعلميا وأدبيا، كما تمثلت فى الانغماس فى اللهو والملذات والترف.

وفى المانيا كان مظهرها الإصلاح الدينى. وفى فرنسا وجه الأدباء جل اهتمامهم إلى الإبداع القصصى والتحليل النفسى، وتحقيق المؤلفات القديمة، والتعليق عليها وفى بريطانيا برز الاهتمام بالمسرح والأدبيات، وكان من أبرز أدبائها "وليم شكسبير".

أما فى أسبانيا والبرتغال فقد تغنى الأدباء بالفروسية، وبالصفات التى يتحلى بها الفارس. ومع كل ذلك فإنه يمكن القول بأن لعصر النهضة سمات عامة ومظاهر تعبر عن روح العصر بأكمله.

وعن بوادر النهضة فى ايطاليا فقد بدا المفكرون والمثقفون يهتمون ببعث وإحياء الدراسات الأغريقية واللاتينية واتخاذها مصدرا للإلهام والوحى، فدرسوا مؤلفات "أرسطو" و"سقراط" و"فرجيل" ووضعوا القواميس التى تساعد على تفهمها كما بدأوا فى التنقيب عن المخطوطات والآثار والاستفادة منها، وقد عرف هؤلاء باسم الانسانيين **Humanists** لأنهم صوروا الحياة الانسانية بصراحة وصدق، وكان حبهم للثقافة واضحا وكان من أبرز هؤلاء، الايطالى "بترارك" الذى أعجب بالطبيعة وتذوق مناظرها الجميلة التى تؤثر فى الإنسان والذى كرس حياته لدراسة اللغة اللاتينية باعتبارها لغة الأدب الرفيع التى عرفت أيام قيصر وشيشرون، وكتب بها بعض قصائده كقصيدة افريقيا التى تحدث فيها عن الحروب بين روما

وقرطاجنة، وأستمر فترة من الزمن لا يقرأ مؤلفات "دانتى" المكتوبة بالايطالية حتى لا يتـاثر بها ويقلده فى الكتابة بتلك اللغة.

وقد مثلت كتابات "بترارك" الذى يعرف بأب الحركة الإنسانية روح عـصر النهـضة فشاعت عنه أفكارا جديدة منها ضرورة أن يهتم الناس بحياتهم الدنيوية، ومنها نقده للكنيـسة، ومطالبته بإقامة وحدة سياسية بين الولايات الايطالية، حتى تصبح أمة قائمة بذاتها وبعيدة عن نطاق الإمبراطورية. ومنها دعوته للأمراء ورجال السياسة فى إيطاليا بالكف عن منازعـاتهم. ومنها أيضا كراهيته للحكم الاستبدادى المطلق.

ومع أن البعض مثل "كولادى رينزى" قد حاول وضع آراء "بترارك" السياسية موضع التنفيذ أثناء حركته التى حاول بها توحيد إيطاليا وجعل روما العاصمة للجمهورية الإيطاليـة الحديثة، إلا ان هذه الحركة لم يتحقق لها النجاح ولم تتحقق أفكار "بترارك" على بساط الواقـع فى حياته.

وعن النهضة الفنية فقد تجلت فى أبرز مظاهرها ومعانيها فى إيطاليا حيث كان الميل كله منصبا على التعبير عن المثل الأعلى فى النحت، وعلى احياء الفـن الكلاسـيكى فـى جوهره. فبرع الإيطاليون فى دراسة الفنون الجميلة والتصوير واهتموا بالآثار القديمة وأخذوا فى محاكاتها والارتفاع بمستواها مع مسايرة روح العصر الذى يعيشون فيه فدب فى الفنـون الكثير من روح التغيير وتحرر الكثير من الفنانين من قيود التقاليد واتجهوا إلى الإسراف فـى الاهتمام بأمور الدنيا بصراحة بالغة والارتفاع بمستوى الفنون فاخرجوا إنتاجـا فنيـا ملائـما بأحاسيس الناس، كما صوروا الطبيعة وعبروا عنها تعبيرا فنيا رائعا، وقد ساعد على تطـور هذه النهضة الفنية العديد من الحكام والأمراء الذين تبارزوا فى رعاية الفنون وتنافـسوا علـى امتلاك العديد من النفائس الفنية مما مهد الطريق أمام الكثير من الفنانين الذين أمـاطوا اللثـام عن جمال آثار الماضى، ونهضوا بالفنون أمثال " ليوناردو دافنشى" و " ميخائيل انجلـو" و رافائيل". وفيما يلى نعرض لهؤلاء ودور كل منهم فى النهضة الفنية.

١- ليوناردو دافنشى Leonardo da Vinci [١٤٥٢-١٥١٩]

ولد دافنشى فى بلدة فيشى الجبلية فى ١٥ من أبريل ١٤٥٢م وامتـاز بتعـدد ملكاتـه واتساع ثقافته، فقد برع فى الطبيعة والميكانيكا وفى تصميم آلات الحرب والنحـت والرسـم

والتصوير والمعمار وعلم وظائف الأعضاء والرياضة والأدب وعلوم الطبيعة وعلم التشريح والجغرافيا. هذا إلى جانب كونه موسيقيا وشاعرا، مما دفع البعض إلى وصفه بأنه كان موسوعة علمية ضمت شتى العلوم التطبيقية وبأنه النابغة الفذ الذى لم يماثله فى نبوغه أحد من معاصريه.

وقد احتمل "دافنشى" المشاق فى سبيل البحث عن الحقيقة العلمية دون كلل أو ملل. كما امتاز فنه بالعمق والبناء الهندسى والرقة. هذا إلى جانب القدرة على التعبير عن مكنون النفس البشرية، ومع أن لوحات "ليوناردو" الأولى ليست معروفة كلها، فان من أعظم اعماله صورتيه الشهيرتين عذراء جروتو **Virgino the Grotto** أحداهما فى متحف اللوفر فى باريس، والأخرى فى المتحف الوطنى فى لندن، وصورة العشاء الأخير **Last Super** فى كنيسة سانتا ماريا فى ميلانو، والتى دل فيها على ابداعه، وتعمقه فى إدراك النفس البشرية وانفعالاتها وردود أفعالها وذلك فى المنظر الرائع الذى جمع المسيح وحوارييه الأثنى عشر – على مائدة وضع عليها الخبز وأقداح الشراب. وهو يعلن لهم أن أحدهم سوف يخونه فما كان من تلاميذه إلا أن اتجه بعضهم إليه وبعضهم إلى بعض متسائلين متألمين خائفين. وقد ظهر وجه المسيح بصفائه الروحانى وهدوئه فى حين كانت صورة الانزعاج تبدو على وجوه اتباعه.

ولدافنشى أيضا رائعته الشهيرة " موناليزا" أو "الجيوكندا" فى متحف اللوفر فى باريس وهى صورة لسيدة شابة جميلة كانت زوجة لضابط يكبرها سنا أسمه " فرانشسكو جيوكندا" وكان هذا الضابط قد أصيب فى رجولته أثناء الحرب مما جعله غير قادر على ممارسة الحياة الزوجية معها مما حرمها متاع الزوجية فى ربيع حياتها ويبدو أن هذه المرأة قد راق جمالها لحاكم فلورنسا.

وقد قام دافنشى بوضع كل طاقاته وإمكاناته ومواهبه الفنية خلال رسمه لهذه الصورة التى استغرقت منه أربع سنوات ١٥٠٢ – ١٥٠٦ فخرجت معبرة عما تحمله موناليزا من مشاعر دفينة وعواطف عميقة حزينة ووداعة ممزوجة بجانبية نادرة.

وتعد الموناليزا اشهر الانجازات الفنية لدافنشى، حيث أنها تعد من أجمل صوره بلا منازع، فهى بألوانها الطبيعية الخلابة تمثل الجمال الايطالى فى أسمى مظهر له.

«العذراء بين القديسين» أنها فيا بين عامي ١٤٥٢ و ١٥١٩ ويوجد حالي بمتحف اللوفر في باريس

« الجيوكوندا » . احدى اللوحات الخالدة لليوناردو

موناليزا ـ زوجة فرنسسكو جيوكندو الذي عاش بمدينة فلورنس اشهر جمالها الفنان . ليوناردو . فحرص على ان يسجل صورتها في مدى اربع سنوات كانت توافيه في خلالها يوميا بمرسمه وجاءت الصورة من ابدع ماوصل اليه خياله في ادوار عصر الجمال صادفة التعبير عما بنفسه وخلد المرأة الشابة التي طاب عيشها في زواجها من فرنسسكو العجوز وكانت اشهر موناليزا فتنة المصور ومصدر الهامه فكان يستاجر بمدرسة الفرق الموسيقية وفنانين ليسمح لهم على حفظ ذلك الابتسامة العذبة بينما يشتغل بتصويرها

ولما مات ليوناردو بين فرنسوا الاول في سنة ١٥١٩ وضع الملك ٤٠٠ر١٢ فرنكا ذهبا الى ورثة الفنان ثمنا لصورة « الجيوكوندا » التي ظلت وقتا طويلا بقصر الملك في فونتابلو ثم انتقلت الى متحف اللوفر حيث هي الآن .

وهذه اللوحة لا تزال موضع أعجاب الكثيرين حتى الآن ينبهرون بروعتها، ويصر بعضهم على أن فيها سحرا غامضا يتمثل فى تلك الابتسامة الغامضة التى تحمل سرا كامنا فى نفس صاحبتها ويسعى حاليا الهواة من الأثرياء لاقتنائها، كما سعى اللصوص لسرقتها ولكنها ما زالت محفوظة فى متحف اللوفر فى فرنسا حيث شاهدها ويشاهدها الملايين من الناس.

وإلى جانب ذلك فقد ترك "دافنشى" بعض مؤلفاته التى تدل على موسوعيته وسعة علمه وتعدد مواهبه ومن هذه المؤلفات كتاباه البديعان " قواعد علم التصوير" وفيه تحدث عن التصوير وفنونه، و " مذكراته" التى تناول فيها بحوثا فى التشريح والجيولوجيا والنبات والميكانيكا وغيرها.

وقد توفى "دافنشى" فى عام ١٥١٩م، بعد أن دفع النهضة الفنية فى بلاده خطوات رائدة، ووضع بصماته فى صنع عصر كامل وكان له الفضل فى تأسيس منهج جديد فى التصوير جعله نابضا بالحياة، ووصل بتسجيله للواقع إلى ابدع ما يمكن الوصول إليه وهو المثل الأعلى فى الجمال فكان عبقرية جامعة يندر أن توجد مثلها موهبة تمتلك كل تلك الملكات والمهارات التى أمتع البشرية بها.

٢- مايكل انجلو Michel Angelo [١٤٧٥ - ١٥٦٤]

ولد فى السادس من مارس ١٤٧٥ فى كابريزه وتلقى أولى دروسه فى التصوير عام ١٤٨٨ كما عرج إلى دراسة النحت الاغريقى ووجد فيه غايته.

ويعد انجلو عبقرية ملهمة، وشخصية من ابرز شخصيات الفن ومن أبرز رواد النحت فى عصر النهضة حيث طغت أعماله الفنية على جميع أعمال معاصريه، خاصة وأنه مزج فى فنه بين الآراء الافلاطونية المحدثة وتعاليم سافونا رولا وروح دانتى، وإلى جانب ذلك كان متعدد الثقافة واسع الافق، وأما طابعه فيتلخص فى انه استطاع ان يرتفع بفنه حتى أصبح مضرب الأمثال فى الجمع بين سمو الخيال، وجمال الاقتباس هذا إلى جانب روعة الإنشاء. فقد نظم الشعر وبرّع فى التصوير وهندسة البناء، واشتهر بوفرة انتاجه الفنى، الذى أعطاه طابعا من الألم والقوة والرقة والجمال والسمو فى آن واحد. كان الغاية عنده أن يظهر الجسم البشرى إظهارا جميلا ساميا، مليئا بالقوة نابضا بالحياة.

ومن أشهر أعماله نحته للمجموعة الرخامية الشهيرة التى تمثل العذراء والطفل واتمامه مبنى كنيسة القديس بطرس فى روما. وقيامه بعمل تمثال موسى عليه السلام فى روما الذى يعد من أعظم أعماله وقد أظهر فيه بوضوح قوة العضلات وقبضة اليد وجمال اللحية وملامح الوجه التى بدأ عليها الغضب والألم والانفعال لما حاق بشعب إسرائيل من العذاب لدرجة أن وصفه البعض بأنه أروع آيات الفن فى العالم ومما يقال عن انجلو بعد نحته لهذا التمثال أنه صاح به أن ينطق ثم سقط مغشيا عليه.

وإلى جانب ذلك قام "انجلو" بنحت تمثال داود من الرخام وقد نصب هذه التمثال أمام قصر أمارة فلورنسا. كما قام بنحت ورسم سقف كنيسة بالفاتيكان، هذا بالاضافة إلى رسمه للعديد من اللوحات الحائطية التى يقدر عددها ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ لوحة. وقد عبر انجلو فى تماثيله عن روح العصر الذى عاش فيه، واستمد فنه من الظروف المهيئة أمامه ومن المعانى التى أحسها بنفسه، وكرس له كل وقته لدرجة أن كان يعمل معظم وقته وهو مستلقيا على ظهره فوق منصة عالية حتى أخرج للبشرية فنه الرائع الذى أحبه لدرجة العشق وإذا قارنا فنه بتراث الأغريق نجد أن الفارق بينهما يتلخص فى عنف انجلو فى الاخراج، وتغيره للمواقف الصعبة، ومواقف الاضطرار والضغط راغبا فى ذلك اظهار قوة الإنسان وجمال بنيانه. وقد توفى انجلو فى عام ١٥٦٤ بعد حياة فنية مليئة بالجمال بمعناه الفلسفى ودفن فى احدى كنائس فلورنسا.

٣- رفائيل سانتى Raffaello Santi [١٤٨٣ - ١٥٢٠]

يميز عصر النهضة بظهور عدد عظيم ممن توافرت فيهم الكفايات والعبقريات السامية فى عالم الفن من هؤلاء "رفائيل" الذى يعد ثالث العمالقة الكبار فى فن النحت والتصميم والرسم فقد درس أعمال دافنشى ومايكل انجلو وتلقى الكثير عنهم فى أثناء وجوده فى فلورنسا، كما استفاد منهم فى أعماله الفنية، فقد استفاد من دافنشى طريقة توزيع الضوء والظل فى لوحاته، كما تأثر بعبقرية مايكل انجلو فى توضيحه لمعالم الجسم الانسانى ثم فاقهما فى الابتكار والابداع واختلف عنهم فى بعض الأحيان وقد رسم رافائيل لوحات عديدة للعذراء مريم. كما دعاه البابا يوليوس الثاني سنة ١٥٠٨ للتوجه إلى روما حيث قام بتزيين قاعات الفاتيكان وزخرفة بعض غرفه وإلى جانب ذلك له روائع فنية أخرى تدل على عبقريته مثل

رافائيل

عذراء الكرسي والمسيح الطفل - رافائيل

"مدرسة اثينا" و " السر المقدس" الذى لخص فيه تاريخ الكنيسة وقد شغل رفائيل فى السنوات الخمس الأخيرة من عمره منصب الرئيس الأعلى لبناء كنيسة القديس بطرس، وتعمق فى دراسة الآثار ومعرفة أسرار الفن القديم.

وقد توفى رافائيل فى عام ١٥٢٠ عن سن لا يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره بعد أن ترك انتاجا ضخما فى ميدان التصوير والعمارة. وعلى كل حال فان دافنشى وانجلو ورافائيل يشتركون معا فى إبراز معالم النهضة الفنية فى إيطاليا لدرجة جعلتها فى طليعة ما قدمه الفنانون للبشرية من ابداع فقد اخرجوا لها إنتاجا فنيا افتخرت به العديد من الأجيال وعدته نبراسا لها فى محاكاته. ومجمل القول أن رفائيل كان فنانا لانظير له عاش قليلا ولكنه انتج كثيرا. يضاف إلى ذلك أن عصر النهضة حفل بالعديد من المفكرين الذين طرحوا افكارهم وآراءهم فى شتى ميادين الحياة وفى الفكر السياسى وأصول الحكم وكان من أبرز هؤلاء "نيقولا ميكافيللى"، و"دانتى" وفيما يلى نعرض لأبرز أعمال كل منهما.

أولا: نيقولا ميكافيللى Miccolo Machiavelli [١٤٦٩ – ١٥٢٧]

ولد ميكافيللى فى مايو ١٤٦٩ بمدينة فلورنسا المدينة الايطالية الشهيرة (وقت كانت دولة قائمة بذاتها) من عائلة نبيلة[١] وعاش زمن سافونا رولا وآل مديتشى Medici.

وقد درس ميكافيللى العلوم السائدة فى عصره فتعلم اللاتينية ودرس الآثار الرومانية واليونانية، وكذلك التاريخ ثم برز اهتمامه فى الدراسات السياسية والتاريخية فقرأ السياسات لأرسطو، وقرأ خطب شيشرون وكتبه السياسية كما قرأ الانيادة لفرجيل، وكان حريصا منذ صباه على تثقيف نفسه ثقافة تاريخية وسياسية.

وقد خدم ميكافيللى فى حكومة فلورنسا لمدة ١٨ سنة وخلالها كلف بعدة مهام دبلوماسية، والتقى بالكثير من الأمراء والسفراء والحكام، ومن هذه اللقاءات عرف الكثير عن الحكم وطبائع الحكام ولقد اشتهر ميكافيللى فى عالم السياسة بمؤلفه الشهير " الأمير The Prince" الذى كتبه عام ١٥١٢ موضحا فيه الاستبداد من الناحيتين النظرية والعملية

---

[١] كان والده يعمل فى القضاء، ويمتلك بعض العقارات.

وأهداه إلى حاكم فلورنسا لورنزودى مديتشى **Lorenzo de Medici** والذى يمكن اعتباره وثيقة تاريخية لدراسة الأخلاق السياسية فى إيطاليا فى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر.

كما برزت أراؤه السياسية أيضا فى كتابه المسمى " المقالات أو الخطط" وبالنسبة لكتاب الأمير فقد استمده من ظروف إيطاليا المضطربة والمنازعات والخصومات التى تلاحقها وهو عبارة عن آراء ونصائح للحاكم لكى يخرج إيطاليا من الفوضى إلى حياة الاستقرار وقد صور فيه اميرا وطنيا يستطيع انقاذ ايطاليا من الانقسام الذى تعانيه ويتمكن من توحيدها والقضاء على الغزو الخارجى الذى يتهددها. وأن يتبع من أجل تحقيق هذه الأهداف أى وسيلة ولو كانت دما يراق أو عهودا تمزق أو أعراضا تستباح، فدعا إلى مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" عن طريق تركيز السلطة فى يد حاكم قوى فى فترة مؤقتة تنتهى إلى الحياة الديمقراطية وقد أبرز ميكافيللى فى كتابه عدة نظريات سياسية منها أن خير حكم يرجوه لبلاده هو الحكم الاستبدادى المستنير الذى لا يهتم بالفضيلة أو الرذيلة ولايعبأ بالأخلاق أو المثل إذا كانت ستقف عقبة فى طريق النجاح وأنه يجب الفصل بين الأخلاق والسياسة، لأن السياسة لامكان فيها للأخلاق، ولا مانع للحاكم. من استعمال البطش والقسوة والخداع من أجل تحقيق الأهداف السياسية العليا للبلاد، ومن أجل اقرار الامن، ومنع الفوضى والاضطراب وضرب مثلا على ذلك بقوله إذا وجد قاطع طرق يعيث فى الأرض فسادا أو يعتصم فى منطقة نائية فلا غبار مطلقا على الحاكم الحريص على مصلحة شعبه من أن يؤمن هذا اللص ويتعهد له بالمحافظة على حياته ثم يغدر به فالنتيجة تبرر الوسيلة، وحذر ميكيافيللى الأمير من المداحين والمنافقين الذين يزينون له الأمور على غير حقيقتها وطالبه بالاعتماد على نصح مستشاريه المخلصين ثم يحكم بما يسمع بنفسه.

كما أوضح ميكيافيللى أن الإنسان ولد شريرا لا يفعل الخير إلا مجبرا وحاول أن يؤكد ذلك بدراسته لتاريخ الإنسان عامة عبر عصوره المختلفة، وأنه لايمكن الاعتماد على الطبيعة الانسانية فى إصلاح نفسها لذلك يجب على الحاكم أن يتخذ نفس هذا السلاح فلا يحافظ على العهود والمواثيق، وقواعد الأخلاق والدين، بل يجب عليه ، أن يتخذ كل أسلحة الغدر والشر، والمبادئ المنافية للآداب الإنسانية لإقرار الأمن فى المجتمع، وطالما أنه غير مجبر على تنفيذ وعوده فلا داعى لأن يقوم بتنفيذها، وعلى الرغم من ذلك فان ميكافيللى ينصح الحاكم بأن

يحاول دائما أن يكسب ثقة شعبه وصداقته لأنه الملجأ والملاذ فى أوقات الشدائد، بمعنى انه يستخدم الشدة حتى يهابه الناس ويخشون بطشه، بشرط الا يترك الجراح تسيل دما بل يصلح ما يمكن إصلاحه بمعنى أنه يجب على الأمير أن يكون أسدا وأن يكون ثعلبا أيضا.

والكتاب أيضا يشتمل على دراسات لتجارب الماضى والحاضر فيتطرق إلى الحكم اليونانى والإمارات الإيطالية منذ العصور الوسطى وحتى عصر النهضة وبه إرشادات يقدمها للأمير كى يستفيد منها فى أثناء حكمه، فتنصحه بأن يعمل لخير شعبه حتى يأمن كراهيته، وفى نفس الوقت يكون طاغية وغادرا حتى يستطيع الاستمرار فى حكمه، ويرهبه الناس ويخشون بأسه، ولما كان المال ضروريا لاستمرار الحاكم فى منصبه، فقد رأى "ميكا فيللى" ضرورة توفر المال لدى الحاكم حتى يستطيع تدبير مصالح شعبه، فى حين كان يرى أن يظل الشعب محدود الثروة حتى يتحفز للعمل والإنتاج ورفع مستوى معيشته، لأنه لو توفر لديه المال يركن إلى الكس والخمول.

وعلى الرغم من دفاع "ميكافيللى" عن استبداد الحاكم لشعبه فقد كان يرى أن الحكم الجمهورى الديمقراطى والحرية السياسية هما المثل الأعلى للحكم عنده.

ونادى "ميكافيللى" بتوحيد إيطاليا وطرد البرابرة الذين اعتدوا عليها فى الشمال، وطالب بضرورة تكوين جيش قوى يستطيع حماية الأمن الداخلى، وحذر من الاعتماد على جيوش دول أجنبية فى الدفاع عن الوطن، أو الاعتماد على جنود مرتزقة لأن هؤلاء لا يقاتلون بحماس فى سبيل قضية يدافعون عنها بل أن هدفهم هو جمع المال فحسب، وكثيرا ما ينقلبون على مستأجريهم ويعيثون فى بلادهم فسادا، فإذا فشلوا فى مهمتهم تركوا الأمير يهلك، وإذا انتصروا انقلب رئيسهم على الأمير، وقد ضرب العديد من الأمثلة على ذلك ومنها أن الجمهورية المسلحة التى يدافع عنها أبناؤها يكون خضوعها للاجنبى أصعب من خضوع الجمهورية المحمية بجيش مأجور من المرتزقة.

وطالب "ميكيافللى" الأمير بالا يكون جاهلا بفنون الحرب حتى يظل محترما من جنده وأن يكون محاربا قادرا على احتمال الشدائد محتقرا للمآكل والمتعة وسائر أنواع الترف حتى ينال محبة جنده ومواطنيه.[1]

---

(١) نيقولا ميكافيللى: كتاب الأمير – تعريب محمد لطفى جمعة، القاهرة، مطبعة المعارف ١٢

وينصح "ميكافيللى" الأمير بأن يختار رجاله ومعاونيه من أصحاب المواهب العقلية الذين يصدقونه النصح حتى تصبح حكومته مثالية ويلتف حولها الشعب.

يضاف إلى ذلك أنه نسب إلى البابوية كل المصائب التى لحقت بايطاليا. ومما يؤخذ على كتاب "ميكافيللى" أنه ركز مقومات الدولة فى دعامتين هما الجيش والسياسة وأغفل مقومات مهمة أخرى مثل الدين والاقتصاد والثقافة.

يضاف إلى ذلك أنه سخر من الاديان بقوله " أن وضع دين جديد أمر سهل وميسور" كما أنه كان متشائما حين تغافل عن المقومات الانسانية وأخضع كافة الأمور، للسياسة، وحين طالب الشعب بأن يكون أداة مسخرة فى يد الحاكم.

ومما سبق يتضح أن "ميكافيللى" كان مؤرخا بلا قلب وقد بلور أفكاره فى كتابه "الأمير" كما يلى:-

١- أن يفصل الحاكم بين السياسة والأخلاق القومية، وان مصالحه وحدها هى التى يجب أن تراعى.

٢- أن يتخذ الحاكم كل الإجراءات اللازمة للوصول إلى غايته ولا مانع من استعمال البطش والخداع والخبث والجريمة من اجل تحقيق أهداف بلاده السياسية.

٣- أن توحيد إيطاليا والدفاع عنها يلزمه بناء جيش قوى من الإيطاليين أنفسهم، والابتعاد عن استخدام المرتزقة من الجنود، واعتبار الشعب أداة اساسية فى تحقيق أهدافه العليا.

٤- ضرورة فصل الكنيسة عن الحكومة حتى يمكن توحيد ايطاليا.

ونتيجة لذلك ظلت الميكافيلية لمدة تزيد على الأربعة قرون عالقة فى ذهن العالم خاصة فى شمال أوربا على أنها مرادفة لشئ شيطانى وخبيث، كما ظل "ميكافيللى" رمزا شهيرا للسياسى المتآمر والماكر والمنافق المجرد من الأخلاق والعديم المبدأ والمستهتر والذى تنحصر كل فلسفته فى أن الغاية تبرر الوسيلة، وأصبح كتاب الأمير ضروريا للطغاة كى يعلمهم كيف يحصلون على السلطة ويحتفظون بها، ففى إيطاليا وفرنسا وروسيا وأسبانيا اتخذت فلسفة "ميكيافيللى" دستورا للعمل. والواقع أن "ميكيافيللى" تجاهل أمورا كثيرة، مثل الدين الذى اعتبره جزءا من جهاز الدولة، أخضع الاخلاق للمصلحة السياسية، وقد نقلت افكار "ميكافيللى" إلى لغات عديدة منها العربية فقد عرفت مصر كتاب الأمير - أول ما عرفته فى

عصر محمد على حيث قام بترجمته – ترجمة ركيكة صعبة الفهم – مترجم سورى هو الأب انطون رفائيل زاخورة[1] بناء على أوامر محمد على.

والجدير بالذكر أن محمد على بعد أن قرأ الكتاب[2] فى عام ١٨٢٨ قال عنه " اعترف بأننى قد وجدته أقل بكثير مما كنت أتوقع، ومن الشهرة التى له".

وفى بدايات القرن العشرين عرفت مصر الترجمة الثانية لهذا الكتاب قام بها الأستاذ محمد لطفى جمعة، وقد طبعت فى عام ١٩١٢، وأسلوبها أكثر دقة ووضوحا وأقرب إلى الفهم من أسلوب الترجمة الأولى.

ومما سبق يتضح أن "ميكافيللى" ذلك السياسى الذى لعنه الساسة قد تتلمذ عليه الكثيرون منهم أما عن كتاب " الخطط" فقد وضع فيه "ميكافيللى" رؤيته التى تصورها لإنشاء دولة قومية موحدة فى إيطاليا على غرار ما حدث فى بعض الدول الأوربية الأخرى، وعلو الدول فوق كل شئ خاصة وأنه كان يعتقد أن مصلحة الشعب مرتبطة بازدهار الدولة وتطورها.

وعلى كل حال فقد انتشرت آراء "ميكافيللى" فى بعض دول أوربا بعد وفاته فى عام ١٥٢٧ حيث حاول بعض ملوك أوربا تطبيقها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وحاولوا على فترات متباينة فى تاريخ بلادهم أن تكون الميكافيلية نبراسا احكم بلادهم لدرجة أن اصبح اسم ميكيافيلى علما على كل سياسى متشدد لا تقف الأخلاق أمامه عندما يقوم باقتراف افظع الآثام من أجل تحقيق غايته ونتيجة لذلك حرقت كنيسة روما كتابات ميكيافللى ووصمت ما كتبه باللعنة.

ومع كل ذلك فينبغى ان نذكر ان أفكار ميكافيللى يمكن ان تصلح لعصر بعينه، ولمجموعة معينة من الظروف، ولايمكن أن تكون نبراسا للحكام على مر العصور، بمعنى انه يمكن اعتبار كتاب الأمير أداة لازمة للاتجاهات السياسية التى استعان بها الايطاليون وغيرهم فى القرنين السادس عشر والسابع عشر.

---

(١) مخطوطة هذه الترجمة كانت موقوفة على مكتبة مسجد سيدنا الحسين ثم نقلت منها إلى دار الكتب المصرية حيث حفظت تحت رقم ٤٣٥ تاريخ.

(٢) ترجم هذا الكتاب إلى التركية أيضا لعدم اتقان محمد على اللغة العربية.

ثانيا: دانتى اليجييرى Dante Alighieire [١٢٦٥-١٣٢١م]

أما عن الشاعر السياسى دانتى والذى يعد من القمم العالية فى مجال الأدب العالمى فقد كان خير شاهد على نهاية عصر وميلاد عصر جديد خصوصا وانه عاش فى مفترق الطرق بين عصرين فتأثر بتقاليد العصور الوسطى وساهم فى الوقت نفسه بدور مهم فى إقامة العصر الحديث.[1] ونتيجة ذلك عرفت دول العالم قدره، فترجمت مؤلفاته إلى لغاتها كما وجد العديد من الكتاب فى مؤلفاته مادة غنية للدراسة وقد ولد دانتى فى مدينة فلورنسا عام ٩٦٢هـ/١٢٦٥م من أسرة نبيلة فقدت ثروتها وسلطانها وقت ولادته وأصبح حالها متواضعا للغاية، يضاف إلى ذلك أن دانتى فقد والديه وهو لم يكتمل بعد دور الشباب.

وكان دانتى منذ صغره مولعا بسماع القصص ووجد لذة كبيرة فى قراءتها وقد درس اللاتينية القديمة وألم بآثار اليونان والشرق القديم وتراث العصور الوسطى فى جامعتى بادوا وبولونيا، كما درس الفلك والرياضيات والفلسفة وعلوم الدين وإلى جانب ذلك قام بدراسة الشعر، وأحب الأدب حبا كبيرا.

ومن يستعرض حياة الشاعر دانتى يجد أنها تقسم إلى ثلاث مراحل:-

- **المرحلة الأولى:** وخلالها أقبل على الشعر خصوصا الغزلى منه، وفيها وصف حبه لمحبوبته " بياتريشى" التى رآها فى التاسعة من عمرها وتعلق بها ولكنها تزوجت غيره وماتت فى شرخ الشباب وقد ظهر ذلك فى كتابه " الحياة الجديدة".
- **المرحلة الثانية:** وقد انفردت بتحمسه للعلوم السياسية والفلسفية ورغبته فى إنقاذ ايطاليا من ويلاتها ونكباتها.
- **المرحلة الثالثة:** ويبرز فيها رغبته فى الاصلاح الدينى والسياسى.كما تبرز قدراته ونضوجه وينتمى إلى هذه المرحلة كتاباه الملكية والكوميديا التى سميت فيما بعد بالآلهية.

---

(1) يعد المؤرخ المصرى الدكتور/ حسن عثمان من أبرز الأساتذة المصرين الذين تعرضوا لدراسة دانتى وترجموا العديد من مؤلفاته.

ناقص من أصل الصدر

وقد قسم دانتى الجحيم إلى درجات، ووضع فى كل درجة مجموعات من مرتكبى الخطايا والعقاب الذى يستحقونه، فالآثمون من وجهة نظره هم أولئك الذين اهتموا بالمادة والحياة الدنيا، وبإشباع غرائزهم وشهواتهم وسلطوا العاطفة على العقل.

وعن المطهر فقد صوره "دانتى" على شكل جبل مرتفع، ووضع فى طبقاته المرتفعة أنواع المخطئين وعقاب كل منهم موضحا ان عقابهم مؤقت ولفترة محدودة ينقلون بعدها إلى الجنة نظرا لأنهم تابوا عن خطاياهم فى أثناء حياتهم.

أما الفردوس فقد وضع فيه دانتى الأتقياء والصالحين الذين اتبعوا قواعد الفضيلة فى حياتهم، وجعل هذا الفردوس على شكل طبقات ترتفع تدريجيا حتى تصل إلى الذات الالهية النهاية.

وتصور دانتى أنه رأى حبيبته بياتريشى فى الفردوس وارتقى معها فى طبقاته الواحدة بعد الأخرى. ويتضح لمن يدرس الكوميديا الآلهية أن صاحبها استمد موضوعاتها من عناصر وثقافات متنوعة من القديم والحديث ومن المشرق والمغرب والجنوب والشمال، من الأسطورة والتاريخ، والسياسة والعلم والدين واللاهوت والفلسفة والطبيعة والمجتمع والفن بالاضافة إلى أنه استمدها من ذاته وتجاربه التى كانت ميدانا للصراع الكائن داخله بين روح العصور الوسطى وروح عصر النهضة والتحرر الفكرى كما يتضح محاولات مؤلفها معرفة أسرار ما بعد الموت. ومع أنها تتميز بالطابع الخيالى فان أهميتها ترجع لسمق ما فيها من أفكار استهوت عقول الكثيرين لدرجة أن العديد من الأدباء يفردون لها مكانا مرموقا فى الأدب العالمى، وخاصة وأن صاحبها أمتاز بتعمقه فى إبراز المعانى الدينية والاجتماعية والسياسية وشتى أنواع المعارف بأسلوب رشيق، كما تبرز أهميتها فى أن صاحبها أول من اثبت صلاحية اللغة الإيطالية فى التعبير عن كل المعانى الإنسانية وما تتطلبه حاجيات الإنسان والمجتمع، ويبدو أن دانتى أراد بكتابة الكوميديا أن يعوض نفسه عما ناله من حياة العسف ونكران الجميل، وأن يقيم عالما يسوده الحق والعدل والصفاء والحرية والسلام.

وعلى كل حال فلا يستطيع أحد أن ينكر ولا دانتى نفسه أنحه استفاد أثناء كتابته للكوميديا الآلهية من العلوم الإسلامية التى أعجبت بها أوربا فى ذلك الوقت وسعى إليها زعماء الفكر فيها.

فلدى مقارنة الكوميديا الآلهية بما كتبه محيى الدين بن عربى[1] وأستاذه ابن ميسرة تظهر مشابهات بارزة. وفى هذه المتشابهات من الدقة والتفصيل ما يجعل أن التشابه بينهما لم يكن أمرا عرضيا أو توارد خواطر بل كان من تأثره مباشرة بهذه الكتابات.

يضاف إلى ذلك أن دانتى اعتمد على رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ونقل عنها بعض الأفكار وأن كان قد عالجها بذكاء ويؤكد ذلك أن هناك روحا مشتركة تتخلل القصتين من ناحية المعنى الأخلاقى المنبثق عن التصوف، والرحلة السماوية وما ترمز إليه من تجديد النفس بالايمان وممارسه الفضائل الدينية والتأمل فى جوهر خالق ملكوت السماوات والأرض.

هذا إلى جانب أن الترتيب العام للجنة والمطهر والجحيم عند دانتى يشابه تماما ما هو معروف فى الثقافات الإسلامية عن الجنة والنار.

يضاف إلى ذلك أن تمجيد "بياتريشى" وهو الغاية الصريحة من الكوميديا له سوابق فيما صدر عن متصوفى الإسلام. من تعابير انجذابية، فعروس الصوفى الروحية هى الملاك الحارس لحبيبها، ومن مكانها الأرفع ترعاه وتقوده إلى طريق الفضيلة والكمال، وبعد موت الحبيب يجدها بجمالها المشرق تنتظر لقياه فى الجنة.

وهذه الصورة عن المرأة نجدها أيضا فى الجزيرة العربية وخاصة عند بنى عذرة فى شمال الحجاز، ومن هنا نشأت عبارة " الحب العذرى" كما نجدها فى كتاب " طوق الحمامة" لابن حزم.

ويؤكد اعتماد دانتى على المصادر الإسلامية ان عقله كان متفتحا على آراء عصره، وأن عصره كان مشبعا بالعلم والفن الإسلاميين، وفضلا عن ذلك فإنه من المحتمل أن يكون قد تعرف على هذه المصادر عن طريق أستاذه " برونيتو لاتينى" الذى عاش فى طليطلة كسفير لفلورنسا فى بلاط الملك " الفونسو الحكيم" المتعلق بالحضارة الإسلامية.

والجدير بالذكر أن المستشرق الأسبانى أسين ملاثيوس قد أكد ذلك فى خطاب القاه فى الأكاديمية الأسبانية فى ٢٦ من يناير ١٩١٩ فأعلن صراحة أن دانتى فى الكوميديا إلالهية قد تأثر بالاسلام تأثرا عميقا واسع المدى يتغلغل حتى فى تفاصيل تصويره للجحيم والجنة.[2]

---

[1] صاحب كتاب الفتوحات المكية وأمير المتصوفة الاسلاميين فى الأندلس.

[2] د./ عبد الرحمن بدوى: دور العرب فى تكوين الفكر الأوربى، القاهرة، الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٧، ص ٤٩.

هذا عن أيطاليا، ودورها فى عصر النهضة الأوربية أما عن ألمانيا فقد تميزت النهضة هناك بالدعوة إلى الإصلاح الدينى عن طريق دراسة الكتاب المقدس كما كتب باليونانية، ومحاربة المفاسد التى لحقت بالمسيحية، ولقد تبلور ذلك الاتجاه فيما بعد إلى حركة الإصلاح الدينى The Reformation التى تزعمها " مارتن لوثر" ، فاحتج على صكوك الغفران وتعرض لنظام الكنيسة وطالب بإصلاحه، وقد اكتسحت هذه الحركة معظم الطبقات فى المانيا، وانتهت بحروب دينية صاحبها تدمير الكثير من الفنون الألمانية ولاسيما فن البناء، وأن ساهمت من ناحية أخرى فى بروز فن الموسيقى الذى أخذ يتطور مع الزمن حتى أصبحت ألمانيا صاحبة الريادة فيه.

وبالنسبة لفرنسا فقد ظهرت بوادر النهضة بها فى النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادى، وكانت بدايتها فى الجامعات الفرنسية خصوصا جامعة باريس، وكانت أبرز ملامح عصر النهضة فى فرنسا هى عناية الأدباء بالإبداع القصصى والتحليل النفسى، وقد تجلى ذلك فى كتابة القصص والمذكرات والتحليل النفسى والخلقى وقد برز من هؤلاء رابليه ومارجريت نافار وبرانتوم ومونلوك.

وبالنسبة لإنجلترا فقد اتجهت النهضة فيها إلى جعل الآداب القديمة فى متناول أيدى المثقفين ولم تسهم فى النهضة بإضافة شى جديد إلى تراث الإنسانية إلا فى القرن السابع عشر ممثلا فى أشعار شكسبير Shakespeare وملتون Milton [1] إلى جانب ذلك فقد كان للمسرح الانجليزى دوره فى النهضة حيث قدم العديد من الروائع الأدبية المليئة بالمفاجآت والمغامرات وتحليل النفس البشرية وطباعها.

أما بالنسبة لهولندا فان الدراسات الانسانية بها كانت تهدف أساسا إلى ترتيب ونقد المؤلفات التى جمعها الانسانيون الاوائل، كما تميزت بالعمق والاصالة.

ومما سبقّ يتضح أن ابرز نتائج عصر النهضة فى أوربا هى:-

١-اضعاف سيطرة الكنيسة وتصدع الاقطاع من ناحية، واختفاء النظام الامبراطورى كنظام سياسى من أوربا من ناحية أخرى.

٢-إبرز حرية البحث العلمى وانهاء سيطرة الكنيسة، ورجال الدين عليها.

---

[1] طالب الشاعر ملتون بحرية العقل أمام السلطان، وانفق معظم حياته فى هذا الجهاد محتملا مقاومة الخصوم ومقاومة السلطان جاهرا فى ذلك بالأقوال التى تصل بالحرية إلى أبعد مدى.

٣-بروز الشعور القومى، وولاء المواطنيين للملكية بدلا من الامبراطورية وظهور اللغات الجديدة، وانهاء دور اللغة اللاتينية كلغة وحيدة لمعرفة العلوم والأداب الأوربية.

٤-ظهور الطباعة مما ساعد على انتشار المؤلفات وذيوعها وطبع الكتب القديمة وايجاد وحدة الفكر والثقافة بين شعوب غرب أوربا.

٥- اكتشاف العديد من المخترعات التى كشفت الكثيرٌ من الأسرار العلمية، وساعدت على تقدم الأنسان.

٦-بروز دور الجامعات والمدارس وتوقف السيطرة الكنسية عليها، وقيامها ببعث التراث القديم، واحياء الحركة العلمية والأدبية بوجه عام، واقبال عدد كبير من الدارسين على هذه الجامعات.

٧-ظهور حركة الكشوف الجغرافية وارتياد البحار، ونجاح الرحالة الأوربيين فى كشف طرق جديدة حيث استطاع "فاسكو دى جاما" اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح كما استطاع كولمبس اكتشاف الدنيا الجديدة.

٨-التنقيب عن الأثار القديمة ودراستها والكشف عن العديد من الأثار الرومانية القديمة وبعثها من مرقدها.

٩-نمو شخصية الفرد وإبراز دوره وما يصدر عنه من أفكار وأعمال وهدم الحواجز التى تمنع النفس البشرية فى التعبير عن نفسها.

١٠-ظهور طبقة جديدة من ابناء الشعب تجمعت بين أيديها الكثير من الثروات، واقصاء نظام الطوائف عن مسرح الحياة الاقتصادية واحلال التنافس الرأسمالى محله.

١١-خروج الأوربيين على القواعد الخلقية والتعاليم المسيحية وتحللهم من قيودها.

١٢-الاهتمام بدراسة العلوم المتصلة بالظواهر الطبيعية مثل الجغرافيا وعلم الفلك وذلك فى محاولة للتعرف على التضاريس والمناخ والتيارات البحرية، وغيرها، والتى كان من نتائجها تمكن العالم الايطالى " جالليو" فى اثبات أن الأرض ليست مركز الكون بل الشمس هى محوره الذى تدور حوله الكواكب بما فيها الأرض.

ناقص من أصل المصدر

الكتوف الجغرافية الأوربية

بين هذه الدول فى الاستيلاء على المستعمرات مما أدى إلى اندلاع الحروب بين الدول الأوربية نفسها من أجل السيطرة على بقاع جديدة، وكانت الدول السباقة فى هذا المجال البرتغال وأسبانيا ثم هولندا وانجلترا وفرنسا.

٥- تقدم العلوم الجغرافية والفلكية:

نتيجة لتقدم علم الجغرافيا وعلم الفلك، وتطوير البوصلة والتعمق فى أدراك حركات الكواكب والنجوم واختلاف الأجواء تشجع الملاحون فى اجتياز البحار والمحيطات، والتوسع فى بناء السفن.

يضاف إلى ذلك عدة عوامل أخرى منها رغبة بعض الأوربيين فى الكسب المادى السريع عن طريق الكشوف الجغرافية، وحب البعض الآخر لروح المغامرة والكشف والرغبة فى السطو والتسلط واغتصاب حقوق الأخرين.

وعلى كل حال فقد توجت عملية الكشوف الجغرافية جهودها باكتشاف الأمريكتين فى عام ١٤٩٢م ثم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨م.

ثانيا: فضل البحارة المسلمين على البعثات الكشفية الأوربية:

عرف العرب ركوب البحار منذ الأزمنة القديمة، وبعد ظهور الاسلام ركبوه للجهاد والتجارة والبحث عن المعادن النفسية.

وعندما اتسعت أرجاء الدولة الأسلامية، ووصلت حدودها إلى أوربا غربا وإلى بلاد الصين شرقا كثرت رحلات المسلمين العلمية ووصل نشاطهم الملاحى إلى أرجاء المحيط الهندى، وأرخبيل الملايو والصين وبحر الروم وبحر القلزم، وساهموا فى تطوير علم الجغرافيا وتصحيح الكثير من آراء اليونان القدامى حول تصورهم بأن هناك مناطق بمثابة مأوى الشياطين والوحوش ويحذرون من اقتحامها لوجود نار تمنع اجتيازها وتحطم أى سفينة تقترب منها.

ووضع المسلمون خرائط بحرية للاسترشاد بها منذ القرن العاشر الميلادى. كما اخترعوا البوصلة والاسطرلاب هذا فى الوقت الذى كانت فيه معلومات الأوربيين الجغرافية ضئيلة وممزوجة بالخيال وإلى جانب ذلك كانت أوربا تؤمن بأن الأرض مسطحة، وتحرق

كنائسها. كل ما يخالف ذلك من علم ومعرفة فى حين اتخذ العرب من تجاربهم الشخصية أساسا جديدا للجغرافية الملاحية.

ومن أشهر المسلمين الذين جابوا العالم المعروف أنذاك "المسعودى البغدادى" (ت ٣٤٦هـ) صاحب كتاب " مروج الذهب ومعادن الجوهر" والذى ترك لنا خريطة امتازت بتحديد كل من البحر المتوسط والبحر الأسود وبحر أورال وأنهار النيل، والسند، والكانج والأدريسى الاندلسى[١] (ت ٥٦٢هـ) والذى قام بعدة رحلات ما بين آسيا والساحل الغربى لانجلترا، وقضى فى صقلية حوالى خمسة عشر عاما قام فى أثنائها برسم الخرائط[٢] والبحث والدرس، كما عمل معلما لبعض الأوربيين.

وقد استعان البرتغاليون بخبرات العرب ألبحرية واستخدام الآلات الملاحية التى كانوا يستعملونها مثل البوصلة والاسطرلاب بعد أن تعرفوا عليها عن طريق يهود الاندلس الذين نقلوا أسرارها إليهم، وإلىجانب ذلك فقد كانت معرفة البحارة العرب بالطرق البحرية الموصلة إلى الهند هى التى أرشدت البرتغاليين إلى معرفة هذه الطرق، وأبرز مثال على ذلك هو أن الملاح العربى الخليجى " أحمد بن ماجد" هو الذى أرشد فاسكودى جاما إلى الطريق الموصل إلى الهند.

ثالثا: أحوال العالم الاسلامى خلال فترة الكشوف الجغرافية:

عانى العالم الاسلامى خلال هذه الفترة من ويلات التمزق والانقسام، وافتقر إلى الوحدة التى تحقق له القوة وتمكنه من مواجهة أعداء الاسلام، وعاش فى ثبات عميق وعزلة عن العالم الأوربى وكان من نتائج ذلك هزيمة البحرية الاسلامية فى موقعة "ديو البحرية" عام ١٥٠٩م.

---

[١] ولد فى اشبيلية وتلقى علومه فى قرطبه، وتعد أعماله أعظم عمل عربى فى العصور الوسطى إذ يمثل نقطة الاحتكاك بين الحضارتين الاسلامية والمسيحية.

[٢] رسم الادريسى خريطة للعالم فى النصف الأول من القرن الثانى عشر للتفاصيل أنظر: يسرى الجوهرى: الفكر الجغرافى والكشوف الجغرافية ، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٩، ص ١٢٣-١٢٧.

ولقد انقسم العالم الاسلامى خلال هذه الفترة إلى ثلاث قوى متصارعة تحاول كل منها القضاء على الأخرى فهناك الدولة المملوكية فى مصر والشام والحجاز وعاصمتها القاهرة، ويحكمها السلطان "قانصوه الغورى"، وهناك الدولة الصفوية فى بلاد فارس وأعالى العراق وعاصمتها تبريز، ويحكمها الشاه "اسماعيل الصفوى"، وهناك الدولة العثمانية فى آسيا الصغرى وبعض مناطق شرق أوربا وعاصمتها استانبول ويحكمها السلطان "سليم الأول".

واستمر الوضع الاسلامى على ذلك المنوال حتى استطاع السلطان العثمانى "سليم الأول" هزيمة كل من الصفويين والمماليك وتوحيد العالم الاسلامى تحت السيادة العثمانية التى استطاعت الوقوف فى وجه أعداء الاسلام فترة ليست بالقصيرة وضرب المخططات البرتغالية الهادفة إلى الالتفاف حول الجزيرة العربية والاستيلاء على الأماكن الاسلامية المقدسة، واغلاق البحر الأحمر فى وجه السفن غير الاسلامية.

هذا بالاضافة إلى توغل الدولة العثمانية فى قلب أوربا ونجاحها فى ضم أقاليم أوربية شاسعة وانتزاعها لبعض جزر قراصنة الصليبيين فى البحر المتوسط.

رابعا: حركة الكشوف الجغرافية:

١- الكشوف البرتغالية:

تعد البرتغال أول دول أوربا البحرية التى بدأت حركة الكشوف الجغرافية، ومهدت للهجمات الاستعمارية المتتابعة التى توالت على بلاد الشرق.

وقد يرجع احراز البرتغال لقصب السبق فى هذا المجال إلى عدة عوامل نذكر منها:-

١- موقعها الجغرافى على المحيط الأطلسى.

٢- رغبتها فى استمرار الحروب الصليبية ضد المسلمين.

٣- استفادتها من الخبرات البحرية لدى أهالى جنوه والبندقية وقيامها بادخال بعض التعديلات على البوصلة باضافة مؤشر يبين اتجاه الرياح مما ساعد على تقدم الملاحة البحرية.

٤- اطلاعها على مجهودات وخبرات علماء المسلمين البحرية وانتفاعها باختراع البوصلة البحرية والتعمق فى ادراك حركات الكواكب.

٥- بنائها للسفن السريعة القادرة على عبور المحيطات والبحار وعلى السير أثناء الرياح.

وترتبط حركة الكشوف البرتغالية بالأمير "هنرى الملاح Henry The Navigator" [١٣٩٤-١٤٦٠م] والذى كان يحتضن فكرة كشف الساحل الأفريقى المواجه لـشبه جزيـرة أيبريا، والرغبة فى الوصول إلى جزر الهند الشرقية للحصول على توابل الشرق الغنية.

وقد أهتم الأمير "هنرى" منذ صباه بالدراسات الجغرافية والفلكية، فكان شغوفا بدراسة الخرائط الجغرافية والاجرام السماوية والطرق البحرية، وحركات الرياح كما عنـى بالعمـل على تطور بناء السفن، هذا إلى جانب أنه يعد المحرك الأول لحركة الكشوف البرتغالية لمـدة تزيد على الأربعين عاما.

وقد اشترك الأمير "هنرى" فى مغامرات حربية ضد بلاد المغرب العربى احتل فيهـا مدينة "سبته" فى عام ١٤١٥م والتى كانت تعد سوقا كبيرا للمغاربة وحاول الانطلاق منها إلى مناطق أخرى بغرض نشر الديانة المسيحية فيها ولكنه منى بفشل ذريع حينما حاول الاستيلاء على طنجة فى عام ١٤٣٧م كما قام بتأسيس معهد أبحاث جغرافى على الطرف الجنوبى من شواطئ البرتغال فى عام ١٤١٨م وبنى قلعة ومرصدا وقصرا لحفظ الخرائط.

كما استقدم إليه صفوة من الفلكيين والجغرافيين وقدم إليهم مجموعات ضـخمة مـن الخرائط والمراجع الفلكية للاستفادة منهم فى رحلاته البحرية، يضاف إلى ذلك قيامه بالعديـد من المحاولات لعقد أواصر الصداقة مع "القديس يوحنا" حاكم الحبشة المسيحى للاستعانة بـه فى انشاء امبراطورية برتغالية فى أفريقيا، وتطويق الجناح الاسلامىهناك. ولذلك فان حركة الكشوف البرتغالية على الساحل الأفريقى كان يدفع اليها العامل الدينى ضد المسلمين.

وقد نجح هنرى فى استكشاف بعض الجزر فى المحيط الأطلسى كما نجح فى ارتيـاد الساحل الغربى لافريقيا عام ١٤١٨ - وقد عرف هذا الطريق البحرى بالطريق البرتغـالى - وأقام نقط حربية حصينة عليه، واتخذ منها مراكز حربية وتجارية تمكنه من الوثـوب إلـى العديد من المناطق الأخرى، كما تمكن من اكتشاف جزر ماديرا **Madeira** فى عام ١٤٢٠ وجزر أزور **Azores** فى عام ١٤٣١.

وبفضل هذه الجهود مهد هنرى الطريق أمام الخطوات الجادة لاكتشاف طريـق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى قرب خط الاستواء وان كان الأجل لم يمهله حتى يرى ثمرات جهوده فمات فى عام ١٤٦٠م.

وعلى كل حال فانه نتيجة للتنافس الاستعمارى بين البرتغال وأسبانيا، وقيام بعض الاضطرابات الداخلية تعطلت جهود البرتغاليين الكشفية لفترة استمرت بين عامى ١٤٧٥ - ١٤٧٩م ثم خطت الكشوف البرتغالية خطوة جريئة حققت بها نصرا مهما عندما أمر الملك "يوحنا الثاني" بارسال بعثة كشفية بقيادة "بارتلميو دياز Diaz" عام ١٤٨٧. فعبر الساحل الافريقى، ودار حول القارة السوداء بقصد الوصول إلى الهند عن طريق البحر مباشرة ونجح فى ارتياد الساحل نحو الجنوب حتى وصل إلى الخليج. سماه خليج الزوابع نظرا لشدة التيارات البحرية التى وجدها هناك، ولم يستطع " دياز" الاستمرار فى رحلته نظرا لتمرد بعض بحارته عليه، فاضطر الرجوع إلى برشلونه مارا بمنطقة الكاب مبشرا بطريق جديد إلى الهند، وعندما أبلغ ملك البرتغال بأن الطريق إلى الهند أصبح قريب المنال بعد اكتشاف هذا الخليج تغير الأسم الذى أطلقه " دياز" عليه من خليج الزوابع إلى رأس الرجاء الصالح.

وفى حين كان البرتغاليون يتابعون نشاطهم الكشفى دخلت أسبانيا حلبة هذه الكشوف وبدأت تسعى من جانبها فى الوصول إلى الهند عن طريق الاتجاه إلى الغرب، مما أدى إلى توتر الموقف بينهما وتوقف حركة الكشوف البرتغالية لمدة تزيد عن عشر سنوات وخشية من مغبة قيام حرب بين الدولتين من أجل السيطرة على المناطق المكتشفة توسط البابا "اسكندر السادس" فى الأمر، ونتج عن هذه الوساطة عقد معاهدة "توردیسیلاس Tordesillas" فى عام ١٤٩٤م تم بمقتضاها تحديد خط وهمى للتقسيم يفصل بين نطاقات سيطرة كل من الدولتين بحيث تنصب الكشوف البرتغالية شرقى المحيط الأطلسى على بعد ٣٧٠ ميلا غربى جزائر الرأس الأخضر "Cape Verde" فى حين تتجه الكشوف الاسبانية نحو غربى المحيط الأطلسى، وتكون البرازيل من نصيب البرتغال وحدها[1]

ونتيجة لذلك أستمرت البرتغال فى اتمام كشوفها فأرسلت "فاسكودى جاما Vosco de Gama" لاتمام ما بدأه بارتلميو دياز فى اجتياز طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى شرقى أفريقيا والهند، وقد تم له ذلك، ونظرا لأهمية هذا الكشف فسنعرض له ولصاحبه ودوره فى اتمام الدوران حول جنوبى أفريقيا الوصول إلى ساحلها الغربى.

---

(١) عقدت بعد ذلك معاهدة بين الدولتين فى عام ١٥٢٩ كانت فى مصلحة البرتغال فى المحيط الهادى فاتفق على أن تكون الملقا للبرتغال والفلبين لأسبانيا.
انظر: أرنولد توينبى: تاريخ البشرية، جـ ٢ - ترجمة نقولا زيادة، بيروت، الأهلية للنشر، ١٩٨٨، ص ٢١٧.

ولد فاسكو دى جاما عام ١٤٦٠م وانتظم فى مطلع حياته بسلك الجندية، ثم أرسله "عمانويل الثاني" ملك البرتغال فى رحلة إلى الهند عن طريق رأس الزوابع فى عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م وللأهمية التى يعلقها التاج البرتغالى على هذه الرحلة قام الملك "عمانويل" بنفسه بتوديعها. وقد أصطحب "دى جاما" فى هذه الرحلة أربع سفن تضم ما يقرب من مائة وخمسين بحارا، كما حمل معه العديد من الخرائط الملاحية والكتب.

وقد سار " دى جاما" من لشبونة محاذيا للساحل الغربى الأفريقى حتى رأس الرجاء الصالح، فى محاولة منه لتحديد الأطار الخارجى لقارة أفريقيا على خريطة كانت لديه ثم واصل رحلته حتى وصل إلى موزمبيق.

وفى العاشر من مارس ١٤٩٨م أبحر "دى جاما" إلى "مومبسا" ووصل إليها بعد جهود مضنية حيث كادت العواصف العنيفة تحطم معظم سفنه، ولما لم يجد ترحيبا من أهالى هذه المنطقة أبحر إلى "ماليندى" (كينيا الحالية) وفى "ماليندى" قابل " دى جاما" الملاح العربى الخليجى المولد "شهاب الدين أحمد بن ماجد"، واندهش من مقدرته على معرفة الأمور الملاحية، وطرقها وأسرارها كما ازداد اندهاشه عندما رأى المعدات البحرية المتطورة التى يستخدمها ابن ماجد على سفينته والتى منها اسطرلاب عربى من المعدن والعديد من الخرائط وبعض الآلات التى سجل بها أرصاده، ونتيجة لذلك طلب "دى جاما" من ابن ماجد أن يرشده إلى الطريق الموصل للهند ووافقه "ابن ماجد" على ذلك، وقاد معه سفينة القيادة البرتغالية حتى أوصله إلى ثغر قاليقوط فى ١٨ مايو ١٤٩٨ وكان هذا الثغر مركز تجارى هندى كبير يتعامل معه الكثير من التجار العرب ونتيجة لذلك رأى " دى جاما" المكانة التى يتمتع بها الرحالة العرب والمسلمون فى هذا الميناء، مما دفعه إلى أن يغير اتجاه سيره فسار شمالا حتى وصل إلى " جوا" شمالى " قاليقوط" وعلى الساحل الغربى لشبه جزيرة الهند، وهناك حمل سفنه بمنتجات هذه البلاد وعاد إلى البرتغال يحمل إلى مليكها بشرى نجاح رحلته الكشفية.

ولقد نتج عن هذه المرحلة عدة نتائج مهمة نذكر منها:

١- أنها كانت بداية لأطماع البرتغاليين فى تجارة الهند وفتحا للعلاقات التجارية السياسية مع الزامورين حاكم قاليقوط مما تسبب فى احتكاكهم بالمسلمين ومنافستهم للتجار العرب ومحاولتهم طردهم من هذه البلاد.

٢- أنها كانت فاتحة الاستعمار البرتغالى فى الشرق والسيطرة على بعض جزره ومراكـزه وحصونه التى يمكن عن طريقها السيطرة على حركة الملاحة مثل مضيق هرمز.

٣- أنها كانت بداية نقطة تحول التجارة الشرقية من البلاد العربية إلى طريق رأس الرجـاء الصالح - خصوصا بعد موقعة ديو البحرية ١٥٠٩م - ممـا أدى إلـى أحـداث كـساد اقتصادى للدولة المملوكية.

وعلى كل حال فقد قام دى جاما برحلته الثانية عام ١٥٠٢ بهـدف اغـلاق المـدخل الجنوبى للبحر الأحمر، والقضاء على النفوذ التجارى العربى على السواحل الهندية الغربيـة والقيام بعقد معاهدات تجارية لدولة البرتغال مع الأمراء الهنود وبعد وصوله إلى سواحـل شرق أفريقيا قام بضرب مدينة كلوة بالقنابل، وأجبر سلطانها على الاعتراف بخضوعه لملك البرتغال ودفع جزية سنوية له وقام بضرب السفن البحرية الموجودة عنـد مـدخل البحـر الأحمر، وبدأ أعمال القرصنة ضد السفن الاسلامية أمام ساحل الملبار، كمـا قـام بـضرب قاليقوط بمدفعية أسطوله يضاف إلى ذلك أنه أغرق سفينة اسلامية فى خليج عمان كانت تستقل حجاج من الهند إلى مكة المكرمة، وعلى ظهرها مائة حاج حيث أعدمهم جميعا.

وبعد هذه الأعمال الاجرامية عاد " دىجاما" إلى بلاده فى عام ١٥٠٣ م بعد أن ترك أسطولا برتغاليا فى المياه الهندية.

وعلى كل حال فقد نتج عن الكشوف البرتغالية عدة نتائج مهمة نذكر منها:-

١-تمكن البرتغاليين من الوصول إلى الهند عن طريق بحرى جديد لايمر بالأراضى الاسلامية ولا يخضع لنفوذها.

٢-سيطرة البرتغاليين على الساحل الأفريقى الغربى.

٣-قيام العديد من المغامرين بالمزيد من الرحلات الاستكشافية.

٤-انتشار تجارة العبيد المجلوبين من أفريقيا بواسطة السفن البرتغالية إلى أوربا.

٥-القضاء على الحركة التجارية الاسلامية التى كانت تمخر عباب المحيط الهندى، وتـشاهد دائما فى موانئه وانتقال مركز التجارة العالمية من البحر المتوسط إلى المحيط الاطلسى مما أضاع الثراء الذى كان يتميز به المماليك والبنادقة.

٦-انخفاض أسعار المنتجات الشرقية التى كانت تصل إلى أوربا على يد التجار الايطاليين، مما أدى إلى أحداث كساد تجارى للمدن الايطالية المشتغلة بالتجارة.

٧- حصول البرتغاليين على العديد من كنوز الشرق وثرواته. ونتيجة لعدم قدرة التجار العرب والأمراء الهنود على مقاومة النفوذ البرتغالى الزاحف طلبوا النجدة من المماليك حكام مصر والشام فى ذلك الوقت، فأعد السلطان المملوكى قانصوه الغورى أسطولا لوقف زحف البرتغاليين فى أعالى البحار الشرقية، ولكنه لم يتمكن من ذلك، حيث ضرب أسطوله فى موقعه ديو البحرية ١٥٠٩ م وواصل البرتغاليون سيطرتهم وقرصنتهم على البحار الشرقية فقام " الفونسو البوكيرك" بالاستيلاء على " هرمز" فى الخليج العربى، وعلى "سوقطره" عند مدخل البحر الأحمر، وعلى " جوا Goa" كما حاول البرتغاليون اقتحام عدن واختراق البحر الأحمر والوصول إلى الأماكن الاسلامية المقدسة فى الحجاز، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل نتيجة لتصدى أمراء المماليك لهم.

وبعد وقوع منطقة المشرق العربى تحت السيطرة العثمانية منذ عام ١٥١٦م وقع عبء الكفاح ضد البرتغاليين على عاتق العثمانيين الذين وأن لم ينجحوا فى انتزاع السيادة البحرية من البرتغاليين ، فأنهم نجحوا فى أحكام سيطرتهم على البحر الأحمر نهائيا، وجعلوه بحرا اسلاميا خالصا.

ولم يكتف البرتغاليون بما حققوه من اكتشافات فى آسيا وأفريقيا، بل ساعدتهم الظروف فى الوصول إلى سواحل البرازيل عندما دفعت الرياح الملاح البرتغالى " كبرال" إلى الغرب فنزل إلى سواحل البرازيل ومن هنا بدأ البرتغاليون فى احتلال هذه البلاد ونشر المذهب الكاثوليكى بين سكانها.

والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل نجح الشعب البرتغالى الصغير العدد فى بسط سلطانه على الممتلكات الكثيرة التى استولى عليها نتيجة لحركة الكشوف الجغرافية؟

الواقع أن الاستعمار البرتغالى لبلاد الشرق لم يكن قائما على أساليب وقواعد استعمارية تحمل فى طياتها الاستيطان والاستقرار بل كان همه وقبل كل شئ هو احتكار التجارة والحصول على أرباحها دون الاهتمام بالتنظيم السياسى أو الحكومى فى البلدان التى استولى عليها مما أدى إلى انهيار صرح هذه الامبراطورية أمام التنافس الاستعمارى الأوربى

خصوصا بعد أن فقدت البرتغال نفسها استقلالها، ووقعت تحت الحكم الأسباني حيث آل عرشها بحكم الوراثة إلى فليب الثاني ملك أسبانيا، فخرجت البرتغال من بلاد الشرق وهي مثخنة بالجراح، وانتقلت السيادة التجارية إلى يد الهولنديين والانجليز.

٢- الكشوف الاسبانية:

لم يتوقف أمر حركة الكشوف الجغرافية على البرتغاليين بل نافستهم أسبانيا في هذه الحلبة ثم تبعتها دول أوربية أخرى مثل هولندا وانجلترا وفرنسا.

وقد اتجهت الكشوف الاسبانية ناحية الغرب تاركة البرتغاليين جهة الشرق - طبقا لوساطة البابا اسكندر السادس - فأرسلت في اغسطس عام ١٤٩٢ وبتشجيع ومباركة فرديناند وايزابيلا بعثة كشفية تحت رئاسة الملاح الجنوى الأصل كريستوف كولمبس **Columbus** الذى عرض فكرته عليهما ووعدهما بالمجد والذهب.

والسؤال المطروح هو لماذا نافست أسبانيا البرتغال فى حركة الكشوف؟ وهل كان قصد كولمبس اكتشاف العالم الجديد أو الوصول إلى الهند؟

الواقع أن منافسة أسبانيا للبرتغال كانت برغبة الحصول على نصيب لها من الذهب والفضة عن طريق التجارة الشرقية التى سبقتها إليها جارتها البرتغال، ومحاولة الاتصال بدول الشرق عن طريق الابحار غربا عبر المحيط الأطلسى حتى تتمكن من وقف احتكار البنادقة للتجارة الشرقية، هذا بالاضافة إلى الأسباب الدينية المتمثلة فى الرغبة بتحويل سكان البلاد المكتشفة إلى المسيحية، ورفع رايه الصليب عليها. أما عن القصد من اكتشاف عالم جديد فقد جاء وليدا للصدفة.

حقيقة لقد كان الأوربيون يقرأون فى ذلك الوقت كتابات الرحالة "ماركو بولو"، ويستمعون إلى القصص المثيرة عن البلاد الغنية بالذهب والجواهر ويؤكدون وجود أراض، وجزر غريبة وعجيبة فى المحيط الأطلسى، ولكن لم يكن فى حسبانهم فكرة اكتشاف عالم جديد وخاصة وأن الغرض من رحلات كولمبس كان اكتشاف جزر الهند الشرقية أو جزر التوابل وعلى كل حال فقد أبحر كولمبس فى المحيط الأطلسى غربا فى عام ١٤٩٢م وبرفقة ما يقرب من مائة بحار بينهم طبيب وجراح ومترجم حتى وصل إلى أرض يابسة فاعتقد أنه

وصل إلىجزر من ساحل الهند مركز انتاج التوابل لذلك سمى سكانها بالهنود، وفى الحقيقة أنه اكتشف جزر الانتيل الصغرى وبعض جزر الباهاما.

وقد أطلق كولمبس على هذه المنطقة أسم "سان سلفادور" ثم توجه بعد ذلك إلى شاطئ كوبا الشمالى، وجزيرة هايتى وسماها "اسبانيولا" أى أسبانيا الصغيرة وعلى الرغم من هذه الرحلة لم يكتفها العواصف، فقد كان بحارته قلقين من مصيرها.

وبعد حوالى ثمانية شهور من قيام هذه الرحلة عاد كولمبس إلى أسبانيا حيث استقبل استقبالا حافلا حيث انعمت عليه الملكة بلقب ادميرال كما وعدته بأن تعينه حاكما على الأراضى التى اكتشفها من قبل الملك مما شجعه على القيام بثلاث رحلات أخرى اكتشف فيها جزءا من شاطئ أمريكا الوسطى والجنوبية والبحر الكاريبى، ومع ذلك لم يصحح كولمبس فكرته عن الأراضى الجديدة التى اكتشفها بأنها ليست جزءا من آسيا. وفى هذه المناطق عمل كولمبس على نشر المسيحية فى هذه البلاد، وقرب بعض أهالى هذه البلاد إليه بمنحهم بعض الخرز والأجراس الصغيرة التى كان قد أحضرها معه وقد أطلق الأسبان على أهالى هذه المناطق اسم الهنود لاعتقادهم الخاطئ أنهم وصلوا إلى بعض سواحل الهند. وعلى كل حال فيبدوا أن النجاح الذى حققه كولمبس قد زاد من كثرة حاقديه الذين اوغروا صدر البلاط الأسبانى عليه بحجة أنه أضاع أموال أسبانيا فى رحلات لم تجن منها الدولة على ما كان يؤمله الأسبان من توابل الشرق مما أدى إلى اعادته إلى أسبانيا مقيدا بالحديد وايداعه السجن الذى ظل فيه معتقدا أنه لم يكتشف قارة جديدة وأنما نزل إلى ساحل الهند، وهذا هو السبب الذى جعل اكتشاف أمريكا لم ينسب إليه نسل إلى الرحالة الفلورنسى "أمريجو فيزبوتشى Amerigo Vespucci" الذى نجح بعد ذلك فى الوصول إلى الشاطئ الشرقى لأمريكا الجنوبية موفدا من ملك البرتغال.

والسؤال المطروح هو ما مدى صحة ما يتردد حول أن العرب وصلوا إلى أمريكا قبل رحلة كولمبس؟

الواقع أن العالم الصينى الدكتور (هوى لزلى) أستاذ علم النبات بجامعة بنسلفانيا الأمريكية كان قد أكد ذلك فى بحثه الذى إلقاه فى الاجتماع الحادى والسبعين بعد المائة لجماعة المستشرقين بمدينة فلادلفيا واستند فيه إلى وثائق محفوظة فى الصين وإلى فصائل

من النبات والحيوان لم تكن من محاصيل الأرض الأمريكية، وذكر من أخبار تلك الوثائق أن اكتشاف العرب لأمريكا تم فى القرن الثاني عشر الميلادى فى رحلة استغرقت مائة يوم.

ومع ذلك فإن المعلومات حول اكتشاف العرب لأمريكا لاتزال محدودة المجـــال وأن كان يتردد بعضها بين الحين والآخر.

وعلى كل حال فقد كان لرحلات كولمبس نتائج مهمة نذكر منها:-

١- أنه فتح أمام الأوربيين الأفاق للهجرة والاستيطان فى العالم الجديد.

٢-أنه فتح آفاقا جديدة لجمع الثروات المعدنية والمواد الخام التى غيرت مجـــرى الاقتـــصاد الأوربى.

٣- أنه أدى إلى تشكيل مجموعة جديدة من الأمم فى نصف الكرة الغربى تختلف تماما عـــن الشعوب الأصلية التى سكنت تلك المناطق.

٤-أن هذا الأكتشاف كان أحد الأحداث الفاصلة فى التاريخ العالمى.

٥- أنه وطد حكم الأسبان الكاثوليك فى أمريكا الوسطى والجنوبية ووضع لهم موطئ أقـــدام للانطلاق لغزو المكسيك وبيرو وغيرها.

٦-أنه أدى إلى نشر المسيحية فى الأراضى المكتشفة التى كان لا يـــدين أصـــحابها بديانـــة سماوية.

ولقد توالت الرحلات الاستكشافية بعد "كولمبس" ففى عام ١٤٩٧ وصل "جون كابوت" **John Cabot** الرحالة البندقى إلى جزيرة "كاب بريتون" **Cape Breton** بجوار شـــاطئ أمريكا الشمالية وبعد وفاة الملك "فرديناند" تولى الحكم من بعده حفيده "شـــارل الأول" الـــذى بلغت الكشوف الأسبانية فى عهده قمة نجاحها، فبعد أن تخلى الملاح البرتغالى " ماجلان" عن جنسيته البرتغالية – بعد أن رفض الملك عما نويل ملك البرتغال أن يعطيه أسطولا للابحـــار عن طريق الغرب – عرض على الملك "شارل الخامس" فكرة الابحار عبر المحيط الأطلنطى لاكتشاف جزر التوابل واعلان ملكيتها لأسبانيا فى نظير امداده بمجموعة من السفن والرجال، وبعد أن وافق ملك أسبانيا على طلبه لا عن عقيدة بنجاح الفكرة ولكن لأن حماســـة الـــشاب وعميق ايمانه بفكرته أخذ بلب الامبراطور ومن هنا أبحر "ماجلان" جنوبا فى المحيط الأطلسى

فى صباح ٢٠ من سبتمبر ١٥١٩م فى رحلة إلى آفاق مجهولة، تصحبه خمس سفن عليها ٢٦٥ بحارا وبعد حوالى ثلاثة أشهر استطاع الوصول إلى أمريكا الجنوبية والابحار إلى "ريو دى جانيرو" فى البرازيل، وهناك خرج الأهالى من أكواخهم وأخذوا يرحبون بالأغراب ويتبادلون معهم ما يملكونه[1] ثم دار حول شواطئ أمريكا الجنوبية ودخل إلى محيط كانت المياه والزوابع فيه هادئة فاطلق عليه **Pacific** أى المسالم او الهادئ الذى يعد ماجلان أول من قام باجتيازه.

وواصل ماجلان سيره حتى وصل إلى الشواطئ التى اطلق عليها اسم الفلبيين تكريما لأسم الأمير فليب الذى تولى عرش أسبانيا فيما بعد، والتى بقيت فى حوزة أسبانيا لفترة طويلة.

وعلى كل حال فإن ماجلان لم يعد إلى أسبانيا حاملا أخبار اكتشافاته حيث قتل فى أحد حروبه داخل جزر الفلبيين بنبال مسمومة اخترقت فخذه وأزهقت روحه.

• النتائج التى حققتها رحلة ماجلان:

١-لن ينسى التاريخ أن "ماجلان" ذلك الشاب الأعرج قد برهن للعالم مدى قدرة الأنسان على تحمل المشاق.

٢- أثبتت هذه الرحلة أن السير فى اتجاه واحد سواء كان ذلك من الشرق أم من الغرب لابد أن يؤدى إلى الرجوع للمكان الذى بدأ منه الانسان رحلته مما اثبت بالدليل القاطع الحقيقة الجغرافية التى تؤكد كروية الأرض.

٣-أن هذه الرحلة فتحت طريق الشرق الأقصى أمام الأوربيين، كما ربطت العالم الجديد بالشرق الأقصى.

٤-أثبتت هذه الرحلة أن هناك قارتين عظيمتى الاتساع هما أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية يقعان بين أوربا وآسيا.

---

(١) أشار بيجافتا أحد البحار المصاحبين لماجلان فى مذكراته إلى ان " الأهالى البسطاء كانوا يعطوننا لقاء كل جرس معدنى صغير سلة كبيرة مملوءة بالبطاطس" كما كتب عن النساء اللاتى كان كل ما يغطى اجسادهن الشعر شعور طوال كالليل البهيم".

كندا
مين
نيوهامشير
مساتشوستس
كنكتكت
نيويورك
بنسلفانيا
فيلادلفيا
نيوجرسي
ديلاوير
ڤرجينيا
كارولينا
الشمالية

٥-أنها كشفت الطريق المؤدى إلى المحيط الهادى وصححت الفكرة عن نسبة مساحة اليابس بالنسبة للماء.

٦-أنها منحت الانسانية عطاء وافرا من الثروة والمعرفة.

وهكذا أصبح ماجلان الذى مات قبل أن يرى ثمار عمله ويرى رأسه مكللة بأكاليل الغار مثلا واضحا للشجاعة الخارقة والعزم الراسخ.

وعلى أى حال فقد كان من الطبيعى أن تستغل هذه المناطق المستكشفة لغرض التجارة والاستيطان، ولنشر المسيحية والحضارة الأوربية أيضا.

ثالثا: الكشوف الانجليزية:

لم يستمر النشاط الاستعمارى وحركة الكشوف مقتصرا على البرتغال وأسبانيا فقد أثار النجاح الذى أحرزته كل منهما رغبة الدول الأوربية الأخرى فى النزول إلى هذه الحلبة فأدلى الأنجليز بدلوهم فى هذا المجال، ومع أن الدور الذى قاموا به فى حركة الكشوف يعد ضئيلا بالنسبة لما حققه الأسبان والبرتغاليين من كشوف فإنهم ضمنوا لانفسهم نصيبا من الغنيمة أكثر مما كان متوقعا.

ففى عهد الملك "هنرى السابع" قامت بعثة بقيادة الأبطالى " جون كابوت" بعبور الأطلسى والوصول إلى شاطئ أمريكا الشمالية عند " نيوفوندلاند" فى ٢٤ من يونيو ١٤٩٧ ورفع الأعلام الانجليزية هناك، كما أبحر " كابوت" مرة ثانية بخمس سفن فى عام ١٤٩٨ ووصل إلى "فلوريدا" مما أدى بعد ذلك إلى استعمار الانجليز لأمريكا الشمالية ، ومن ثم أصبح ملك انجلترا صاحب السيادة والنفوذ على هذه المناطق. وفى عام ١٦٠٠ وافقت الماكة "اليزابيث" على تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية.

رابعا: الكشوف الفرنسية:

اتجهت فرنسا بكشوفها الجغرافية نحو أمريكا الشمالية حيث قام الملاح " جاك كارتيه" بأربع رحلات لكتشف خلالها أقليم كندا، ومصب نهر سانت لورانس فى عام ١٥٢٥، وتوغل فى العديد من المناطق الأمريكية.

ونتيجة لذلك تكونت شركات فرنسية عند منطقة "سانت لورانس" لاستغلال هذه المنطقة اقتصاديا.

وفى عام ١٦٨٢ اكتشف الفرنسيون نهر المسيسبى وانتشرت قواتهم فى مساحات واسعة من أمريكا الشمالية ولكن ذلك لم يستمر طويلا حيث حاربهم الانجليز وانتزعوا كندا من أيديهم.

خامسا: الكشوف الهولندية:

كان للهولنديين دور بارز فى حركة الكشوف الجغرافية حيث قام الملاح " هنرى هدسون" بعبور شمال الأطلسى والوصول إلى خليج نيويوك ونهر الهدسون الذى سمى باسمه، كما اكتشف القبطان الهولندى " وليم شوينتن" طريق رأس هورن فى عام ١٦١٦ والذى أصبح منذ ذلك الوقت طريقا ملاحيا مهما ثم واصل المستكشفون الهولنديون رحلاتهم حتى اقتربوا من استراليا ونيوزيلندة بين عامى ١٦٢٢ - ١٦٢٤ ولكن نظرا لعدم متابعتهم لهذه الكشوف نسبت فيما بعد إلى الانجليزى " جيمس كوك" الذى قام بثلاث رحلات اكتشف فيها استراليا ونيوزيلنده وبعض جزر المحيط الهادى.

وعلى كل حال فقد أتخذ الهولنديون من رحلة هدسون أساسا بنوا عليه حقوقهم فى أمتلاك واستعمار المنطقة الساحلية فى أمريكا الشمالية الواقعة بين خطى عرض ٤٠، ٤٥° من الشمال، كما أقام الهولنديون مركزاً تجاريا مهما فى جزيرة "مانهاتن"، ومحطة تجارية لجمع الفراء وفى عام ١٦٢٢م تأسست شركة الهند الغربية الهولندية ومنحت حقوقا تجارية واستعمارية واسعة فى مناطق من العالم الجديد وعلى طول ساحل أفريقيا الغربى جنوبى مدار السرطان فبسطت نفوذها على أقليم نهر هدسون وبنت قلعة امستردام كما اشترت هولندا جزيرة "مانهاتن" بأربعة وعشرين دولارا.

وفى عام ١٦٢٢ أصبحت نيوزلنده (هولندة الجديدة) مستعمرة حقيقية للهولنديين. كما استولى الهولنديون على ساحل غينيا وفى عام ١٦٣٤ أستولوا على " كوركو" بجزر الهند الغربية ونزلوا "جيانا" بأمريكا الجنوبية واحتلوا جزءا من البرازيل لمدة ثلاثين سنة حتى عام ١٦٥٤م.

كما احتلوا جزيرة هيلانة، واقاموا مستعمرة عند رأس الرجاء الصالح ١٦٥٢م واستولوا على جزيرة موريشيس وجزيرة سيلان وساحل الهند الجنوبى الشرقى وكذلك على محطات لتجارة الحرير فى فارس، ومحطة لتجارة البن فى المخا باليمن.

وعلى الرغم من كل ذلك فقد انصب اهتمامهم إلى أرخبيل الملايو من أجل ذلك أسسوا محطات بحرية فى فرموزا، كما وصلوا إلى سومطرة فى عام ١٥٩٥ وحكموا الجزر الاندونيسية وسيطروا على التجارة مع الصين واليابان ولم يحل منتصف القرن السابع عشر الميلادى إلا وكان الهولنديون أكبر قوة أوربية فى البحار الشرقية.

سادسا: النتائج التى ترتبت على الكشوف الجغرافية:

١- النتائج الاقتصادية:

استطاعت حركة الكشوف الجغرافية تغيير خطوط ومعالم مراكز التجارة العالمية حيث قلت أهمية البحر المتوسط بالنسبة لهذه التجارة وازدادت أهمية المحيط الأطلسى ويعرف بعض المؤرخين ذلك بالثورة التجارية التى كان من أهم نتائجها.

أ- تدفق المعادن النفيسة مثل الذهب والفضة إلى أوربا.

ب- زيادة عدد أفراد الطبقة الوسطى من التجار ورجال الصناعة وارتفاع مستوى معيشتهم.

ج- ظهور العديد من الصناعات والمحاصيل الزراعية الجديدة مثل البطاطس والكاكاو والتبغ والكينا والذرة.

د- ظهور مشكلة تصريف المصنوعات وزيادة الطلب على المواد الخام اللازمة للصناعة مما ساعد على حركة الاستعمار.

هـ- انشاء البورصات المالية العالمية وازدياد نشاط المصارف.

و- بناء الأساطيل الضخمة حتى تؤمن الدول الأوربية سبل اتصالها بممتلكاتها فيما وراء البحار.

٢- النتائج السياسية:

أ- اشتعال عملية التنافس الاستعمارى بين الدول الأوربية رغبة فى التوسع فيما وراء البحار على حساب الشعوب المستضعفة.

ب- قيام الحروب بين الدول الأوربية وبعضها.

ج- السيطرة السياسية على دول الشرق.

٣- النتائج الاجتماعية:

١- اقرار مبدأ التفرقة العنصرية والمناداة بسيطرة الرجل الأبيض على غيره.

٢- وضع حياة بعض الشعوب وارادتها تحت السيطرة الأوربية.

٣- انتشار أسواق الرقيق فى أوربا.

٤- انتشار الحركات التبشيرية بغرض نشر العقيدة الكاثوليكية بين سكان المستعمرات.

٥- ابراز دور الطبقة الوسطى.

٤- النتائج العلمية والثقافية:

١-انماء عملية المعرفة، وتغيير الكثير من المعلومات الجغرافية المتوارثة عن شكل الكرة الأرضية وحجمها وعدد القارات والمحيطات.

٢- تطور علم الفلك، وظهور معلومات جديدة عن الاجرام السماوية وغيرها.

٣-اتساع مجال البحث العلمى.

ظهور معلومات جديدة فى علوم النبات والحيوان والبحار.

خرستوف كولمب